رسائل نادرة

رسالة في إثبات الاستواء والفوقية

وتنزيه الباري جل وعلا عن الحصر والتمثيل والكيفية

تأليف

الشيخ العالم القدوة

عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي

المعروف بابن شيخ الحزاميين

المتوفي ٧١١هـ

تحقيق وتعليق

عدنان بن حمود أبو زيد

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

رسائل نادرة

رسالة
فى إثبات الاستواء والفوقية
وتنزيه البارى جل وعلا عن الحصر والتمثيل والكيفية

تأليف
الشيخ العالم القدوة عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطى

المعروف بابن شيخ الحزاميين
المتوفى ٧١١ هـ

تحقيق وتعليق
عدنان بن حمود أبو زيد

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولي
١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة ت : ٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٥٩٣٨٤١١ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر ـ القاهرة
E-mail : alsakafa-alDinaya@hotmail.com

رقم الايداع	٢٠٠٤/٧٠٩٤
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-341 - 136-2

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهدِهِ اللهُ فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد: فإن كتاب الشيخ القدوة العارف عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين الموسوم بـ" **رسالة في إثبات الاستواء والفوقية** " هو كتاب جيد في العقيدة الإسلامية الصحيحة، وقد سار فيه المؤلف على منهج السلف الصالح في مسألة الاستواء، والفوقية مؤكدًا لقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ (طـه:٥)، وقوله تعال: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ (فاطر:من الآية١٠). ﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**﴾ (الملك:١٦). والأصل في ذلك كله قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (الشورى: من الآية١١)، أي ننفي عن صفات الباري جل وعلا التمثيل على وجه الإجمال، ونثبتها على سبيل التفصيل، وذلك هو منهج الرسل الذي نطق به الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه. وقد قام بتحقيقه، وتخريج أحاديثه الأخ العزيز تلميذنا الشيخ عدنان بن حمود أبو زيد؛ فجزاه الله تعالى خيرًا.

حرره راجي عفو ربه

الشيخ صبحي بن جاسم البدري السامرائي

بغداد ١ / رجب / ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنّ الحمد لله نحمَدُه ونستعنُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يَهدِه اللهُ فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٢) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء:١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١).

أما بعد : نحن هنا أمام كتاب صغير الحجم عظيم القدر كثير النفع، فمن يطالعه نظرة درس وفهم يدرك بلا شك ما فيه من علم نافع بأسلوب ماتع بالرغم من لطافة حجمه ناقش فيه مصنفه مسألة مهمة، وخطيرة في مبحث مهم من مباحث العقيدة الإسلامية طال فيها الجدل والنقاش قديماً وحديثاً، وهي مسألة الأسماء والصفات، التي نطقت بها الأدلة الصريحة الصحيحة من الكتاب والسنة.

فإن هذا المبحث يعد من أجل وأعظم ما تُكلم فيه من أصول الديـــن، وقـد تخبطت فيه أقوال المتأخرين من المتكلمين، والفلاسفة؛ ففريق قال بالنفي المطلق، وآخـر أقر بالأسماء فقط دون الصفات، وآخر أقر بالأسماء، والصفات لكنه استثنى قسم منـها، وتأولها، وصرفها عن مدلولاتها الظاهرة؛ فعطلوا صفات الباري عز وجل من حيـث لا يعلمون. راموا التتريه بحسب ظنهم، ولو أنهم أتبعوا وما ابتدعوا لكفـوا، وهُـدوا إلى السراط المستقيم.

ومذهب السلف في هذه المسألة[1]

((هو الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله وناطقُ السنة من الأسماء والصفات من غير زيادة عليها ، ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تأويل لها بما يُخالف ظاهرهـا ، وقد انقضى عصر الصحابة والتابعين من السلف والأمة على التسليم المُطْلق بما جـاء في الكتاب والسنة عن الذات الإلهية وصفاتها ، ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسـائل الأسماء والصفات والأفعال . بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة ، كلمتـهم واحدة من أولهم إلى أخرهم ، لم يسُومها تأويلاً ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً .

وهم يعتقدون أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ، ولا يجوز إطلاق شيءٍ منـها على الله في الإثبات أو النفي إلا بإذن الشرع، فلا يثبتون لـه سـبحانه مـن الأسمـاء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ ، ولا ينفون عنه كذلـك مـن الأسماء والصفات إلا ما نفاه هو عن نفسه ، أو ما نفاه عنه رسول الله ﷺ ، وأن كل مـا ثبت لهما من الأسماء والصفات لا يماثلُ شيئاً من خَلقه ، ولا يماثله شيء، بل كـل مـا ثبت له من صفات الكمال التي وردت في النصوص الصريحة ، فهو مختص به لا يشـركه

(1) أنظر مقدمة شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/ ١٨- ١٩ .

فيه أحد من خلقه ، وإذا كان هناك من النصوص الأسماء ما يطلق على صفات الله كما يطلق على صفات خَلقه ، فإن هذا ليس إلا محض اشتراك في الاسم ، فلا يَلزم من اتفاقهما في مسمى الصفة اتفاقهما في حقيقة الصفة ؛ فإذا كانت ذاته سبحانه لا تماثل الذوات ، فكذلك صفاته لا تماثل الصفات ، لأنه سبحانه لا تضرب له الأمثال بخَلقه لا في بذاته ، ولا في صفاته .

و لم يقل أحد منهم : إن آيات الصفات لا يُعلم معناها إلا الله، بدليل أنهم كانوا يثبتون لله ما تضمنته من صفات، ولو كان معنى الآيات والأحاديث غير مفهوم لهم البتة، لما صح منهم الإثبات، إذ كيف يثبتون شيئاً لا يُعقل معناه، غاية الأمر أنهم لم يكونوا يبحثون وراء هذه الظواهر عن كُنْهِ هذه الصفات، أو عن كيفية قيامها بذاته تعالى، لأن معرفة ذلك فوق مستوى العقل البشري، وهو من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فهو سبحانه أجل من أن يُدرك كُنه ذاته وصفاته، أو يحاط بها علماً : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية١١).

وبهذا يعلم أن السلف الصالح كانوا أكثرَ فطنةً، وأحد ذكاءً من أصحاب الفِرَق، لأنهم عرفوا أنه لا سبيل إلى إدراك كُنْهِ الصفات بالعقل، لأنه من شؤون الغيب التي لا تدخل في نطاق قدرته))، انتهى .

وقد بيّن المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ في هذا الكتاب منهج السّلف الصالح ومعتقدهم في هذه المسألة، من إثبات الاستواء والعلو لله، وغيرها من الصفات التي نطقت بها النصوص؛ فإن القول الفصل فيها هو الرجوع إلى المنبع الأصلي والأساسي للعقيدة الإسلامية المتمثل بالقرآن والسنة، مع عدم الغفلة عن الاعتماد على فهم السلف لهما لأن فهمهم هو امتداد لنور مشكاة النبوة، وإجماعهم حجة، ومتابعتهم نور، وإيمان، ومجانبتهم ذل، وخذلان، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾

(النساء: ١١٥).) ، وقوله أيضًا: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٣٧) .

فإننا لا نجد هذه الأقوال المنحرفة في عهد الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ولا عند من أخذ عنهم؛ بل نراها بدأت تظهر بعد دخول الأمم الأخرى في الإسلام بسبب تأثيرات فلسفة اليونان، وهَرْطَقَة الهند والحاد المجوس الذي دسته الفرق الضالة من الجهمية، والباطنية، وغيرها، وأضف إلى ذلك ما قام به البعض من ترجمة الكتب الفلسفية التي عاثت بعقول كثير من الذين لم تكن لهم دراية وقدم راسخة في علم الكتاب والسنة ؛ فألْقت في قلوبهم شُبهاً وضلالات وأثارت في نفوسهم الوساوس، والشكوك ؛ فأخذوا يستدلون على وجود الخالق، ووجوب توحيده واثبات صفاته بالاعتماد على هذه الأساليب الدخيلة، وحادوا عن طريقة السلف. حيث اصبح قائلهم يقول: طريقة السلف أعلم ، وطريقة الخلف أسلم ؛ فيا سبحان الله ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: من الآية ٦١).

وذكر الدارمي[1]: ((إن رجلاً جاء إلى الإمام مالك، فقال: يا أبا عبد الله﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه:٥)، كيف استوى؟ ــ قال ــ فما رأينا مالكًا وجد شيء كوجده من مقالته، فعلته الرحضاء ــ يعني العرق ــ وأطرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه، قال: ثم سري عن مالك، فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أمر به فأخرج)).

وقال الإمام الموفق ابن قدامة: ((ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وإيمانه التي وصف بها نفسه في كتابه، وتتريله أو على لسان رسوله من غير زيادة

---

[1] الرد على الجهمية: (ص ٥٦).

عليها، ولا نقص منها، ولا تجاوز لها ولا تفسير لها، ولا تأويل بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين، بل أمروها كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها))[1].

ونلاحظ هنا في هذا الكتاب أن المصنف قد اعتمد أسلوباً مبتكراً في رد شُبه المنحرفين من المعطلة والمتأولين، فبعد أن ساق الأدلة من الكتاب والسنة والآثار التي تَدْحض مقالة المعترضين يعضد ذلك بمباحث نظرية وقواعد كلامية، فهو يناقش المسألة بنفس طريقة المخالفين من خلال استخدام أسلوب المناظرة العقلية المنطقية مبيِّناً بطلان دعواهم بنفس أساليبهم، ثم اتبع ذلك كله مناقشة علمية ذكية جداً تدل على فطنته، وذكائه وسيلان ذهنه، حيث أنه ناقش المسألة من خلال مباحث علم الهيئة، وأخذ يستطرد في رده بأسلوب ينم عن معرفة وفهم واسع.

إن من يطالع كتابه هذا الصغير الحجم العظيم النفع يدرك بلا شك فضل هذا العالم الجليل، الذي أبان لنا بعقيدته السَّلفية هذه اقتفاءه للآثار السَّلف الصالح في الاعتقاد، وهو مما تنبه إليه بعد أن نضجت ملكته، وتأهل للنظر، والاجتهاد فما كان منه إلا أن يصرح بما ينطق به القرآن والسنة معتمداً على فهم السَّلف لهما، رغم ما نشأ عليه من منهج اعتقادي يعتمد طريق التأويل في مسائل مهمة من الإيمان، بدافع التنزيه! فوقعوا في المحذور من صرف الألفاظ الصحيحة عن مدلولاتها الصريحة، فعطلوا بعض صفات الباري عز وجل من حيث لا يعلمون!

---

(1) رسالة التنزيه (ص ١٥).

وصف النسخة المعتمدة :

اعتمدت في تحقيقي للكتاب على مصورة عن النسخة الخطية ، وخطها جيد مقروء، أُثبت في أولها اسم الكتاب[1]، وعليها تملك باسم محمد بن علي الاستانبولي ورخ في سنة ١١٠٠ هـ .

ويقع الكتاب ضمن مجموع مكون من أربعة كتب ، يحتل كتابنا فيه موقع الصدارة ، ويقع في (١٣) ورقة بخط دقيق مضبوط ضبط قلم ، ومسطرة كل ورقه فيه (٢١) سطراً .

عملي في الكتاب :

كتابنا هذا طبع قديماً ضمن مجموع الرسائل المنيرية[2]، بالاعتماد على نسخة وجدت في رواق الشاميين بالأزهر، إلا أنه وقع فيها نقص [3]؛ فظفرت ولله الحمد بنسخة كاملة ، وقَدْر ما سقط من الكتاب ورقتان ونصف من المخطوطة.

---

(١) ونسب فيها للشيخ الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين، وطبعة المنيرية نسبته كذلك، ولكن الذي ترجح عندي ــ والله أعلم ــ أن الكتاب هو للشيخ عماد الدين الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين، وذلك للأسباب الآتية:

الأول : إن الأسلوب الذي استخدمه المصنف الذي يعتمد أسلوب الرد العقلي الكلامي وباستخدام مباحث علم الهيئة يشعر بأن المؤلف هو ابن شيخ الحزاميين، وكذلك الكلام في مسألة الحرف في القرآن الكريم، وأنه يستخدم طريقة الحنابلة في الرد.

الثاني: نقل المصنف عن الإمام عبد الغني المقدسي من عقيدته ، يحسم لك الأمر، لأن عبد الغني مات سنة (٦٠٠)، والجويني الأب مات سنة (٤٣٨)، والله أعلم.

(٢) إدارة الطباعة المنيرية ط ١/ ١٣٤٣هـ .

(٣) قال طابع الكتاب: ((هنا سقط في الأصل لم نهتد إليه من نسخ أخرى فمن عثر على نسخة أخرى فيها النقص فليثبته)).

ويتلخص عملي في الكتاب بما يلي :

١. نسخت الكتاب ، ثم قابلته بالأصل .
٢. قابلت الأصل بالمطبوع ، لكونه طبع على نسخة مُغايرة ، رغم كونها ناقصة ؛ فاعتبرتها نسخة ثانية[١] .
٣. قدمت للكتاب مقدمة تناسب موضوعه، وترجمة للمصنف ترجمة لطيفة.
٤. قمت بتخريج ما في الكتاب من أحاديث وآثار بعزوها إلى مظانها من كتب السنة المطهرة ، وعلقت عليها بما تقتضيه الصناعة الحديثية .

= ثم طبع ضمن كتاب أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة، من جمع الشيخ علي بن سليمان آل يوسف البغدادي، وهو من تلاميذ العلامة أبي الثناء محمود شكري الآلوسي، وطبعة على نفقة الشيخ قاسم بن علي آل ثاني، ونسب إلى مؤلفه على الصواب = عماد الدين أحمد بن إبراهيم ، المعروف بابن شيخ الحزامين ، وقع فيه أيضاً نقص قبل آخره، وهو القسم الذي رد فيه المصنف الشبه من خلال مباحث علم الهيئة! وكذلك نشره المكتب الإسلامي بتحقيق زهير الشاويش، وسمي خطأً " بالنصيحة في صفات رب العالمين " ونسبه كذلك لابن شيخ الحزامين .

(١) وقابلت الجزء الذي نقص من نسخة الأزهر، بالمطبوع ضمن كتاب " أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة"، وقابلت القسم الذي رد فيه المصنف من خلال مباحث علم الهيئة بطبعة المكتب الإسلامي لأنه سقط من طبعة "أربح البضاعة".

ترجمة المؤلف:

جاء في "الدرر الكامنة" (١٠٣/١): أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عماد الدين ابن الشيخ أبي إسحاق شيخ الحزامية الواسطي، ثم الدمشقي الصوفي، ولد سنة (٦٥٧)، وتفقه على مذهب الشافعي، وتعبد وانقطع، وكان يرتزق من النسخ، وخطه حسن جدا، وله اختصار دلائل النبوة، وتسلك به جماعة، وكان يحط على الاتحادية.

قال صاحب الشذرات (٢٤/٣): ولد في حادي أو ثاني عشر ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة بشرقي واسط، وكان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية، ونشأ الشيخ عماد الدين بينهم، وألهمه الله تعالى من صغره طلب الحق، ومحبته، والنفور عن البدع وأهلها، فاجتمع بالفقهاء بواسط كالشيخ عز الدين الفاروثي، وغيره، وقرأ شيئا من الفقه على مذهب الشافعي، ثم دخل بغداد وصحب بها طوائف من الفقهاء، وحج، واجتمع بجماعة منهم، وأقام بالقاهرة مدة ببعض جوانبها، وخالط طوائف الفقراء، ولم يسكن قلبه إلى شيء من الطرائق المحدثة. قدم دمشق فرأى الشيخ تقي الدين بن تيمية[1]، وصاحبه فدله على مطالعة السيرة النبوية؛ فأقبل على سيرة ابن إسحق تلخيص ابن هشام؛ لخصها واختصرها، وأقبل على مطالعة كتب الحديث، والسنة، والآثار،

---

(١) كان بينه، وبين شيخ الإسلام ابن تيمية مودة، ومراسلات ، وأثنى شيخ الإسلام عليه كثيرًا، وسماه: جنيد وقته. وقال هو في حق شيخ الإسلام كلامًا أوصى به أصحاب الشيخ، فقال في حق الشيخ بعد ثناء طويل جميل ما لفظه: ((فوالله، ثم والله، ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما، وعملا، وحالا، وخلقا، واتباعا وكرما، وحلما، وقياما، في حق الله عند انتهاك حرماته أصدق الناس عقدًا، وأصحهم علمًا، وعزمًا، وأنفذهم، وأعلاهم في انتصار الحق، وقيامه همة، وأسخاهم كفًا، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد، ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية، وسننها من أقواله، وأفعاله؛ إلا هذا الرجل يشهد القلب الصحيح إن هذا هو الاتباع حقيقة)). شذرات الذهب (٨٣/٣).

وتخلى من جميع طرائقه، وأذواقه، وسلوكه، واقتفى أثر الرسول، وهديه، وطرائقه، المأثورة عنه في كتب السنن، والآثار، واعتنى بأمر السنة أصولا، وفروعا، وتبوع في الرد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم، وعرفهم من الاتحادية، وغيرهم وبين عوراتهم وكشف أستارهم، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد.

مصنفاته:

كان ((رحمه الله تعالى)) ذا أسلوب لطيف عذب، ومدار تصانيفه تدور حول الزهد، والسلوك الصحيح النابع من الإتباع لسيرة خير المرسلين ﷺ ، وإليك بعض ما وقفت عليه:

١. اختصر دلائل النبوة[١].
٢. اختصر السيرة النبوية، تلخيص ابن هشام[٢].
٣. باشورة النصوص بهتك أستار الفصوص[٣].
٤. البلغة، مختصر كتاب الكافي في فقه الحنابلة[٤].
٥. التذكرة والاعتبار والانتصار للأخيار[٥].
٦. رسالة الاستواء والفوقية، كتابنا هذا، وهو بين يديك.

---

(١) الدر الكامنة (١/١٠٣).

(٢) شذرات الذهب (١/٢٤).

(٣) الفصوص لابن عربي، وقد أجاد فيها؛ فهو أعرف الناس بأباطيل هؤلاء؛ لكونه نشأ بينهم، ثم ألهمه الله تعالى طريق النجاة، وعندي نسخة منه، وهي في طريقها إلى النشر إن شاء عز وجل.

(٤) شذرات الذهب (١/٢٤)، كشف الظنون (١/٢٥٥).

(٥) طبع بتحقيق إبراهيم الحازمي، طبع في دار الشريف، الرياض.

٧. شرح منازل السائرين[١].
٨. مدخل الفقه واللسان[٢].

وفاته:

توفي[٣] ((رحمه الله تعالى)) في شهر ربيع الآخر سنة (٧١١) عن أربع وخمسين سنة بالمارستان الصغير بدمشق، وصُلي عليه من الغد بالجامع، ودفن بسفح قاسيون، قبالة زاوية السيوفي.

---

[١] الدرر الكامنة (١/١٠٣)، وقال ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٢٩٧): ((لم يتمه)).

[٢] كشف الظنون (٢/١٦٤٣)، وطبع في دار البشائر أخيراً.

[٣] لقد كان ((رحمه الله تعالى)) من العلماء العاملين والأخيار المعروفين، أنظر ترجمته عند: ابن حجر في الدرر الكامنة (١/١٠٣)، وصاحب الشذرات (١/٢٤)،والذيل على طبقات الحنابلة (٢/٢٩٦-٢٩٧)، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/٧٣).

شكر وتقدير

لا يسعني إلا أن أتقدم بشكري وتقديري لشيخنا الفاضل السيد صبحي السامرائي، الذي لم يدخر وسعًا في نشر السنة النبوية، وتدريسها، والذب عنها، وتوجيه الباحثين من طلبة العلم، وتوجيهم ونصحهم وإرشادهم، وإمدادهم بالمصادر سواء المطبوع منها أو المخطوط من مكتبته العامرة في زمن أصبح فيه المسلم المتبع لكتاب والسنة غريبًا خدمة منه للدين الحنيف، فجزاه الله تعالى بخير ما يجزي به عباده الصالحين.

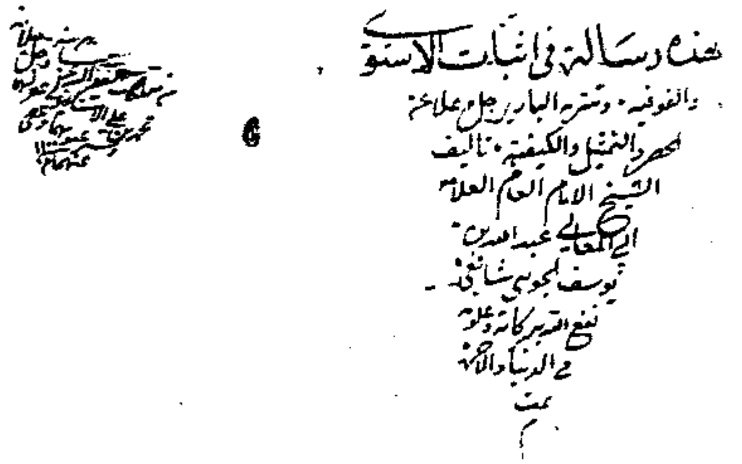
ولا يفوتني أن أشكر أخي العزيز الكتبي الفاضل أحمد النعيمي الذي ساعدني في نشر هذا الكتاب، جزاه الله تعالى عني خير الجزاء.

هذا، وارجوا من الله العلي العظيم أن يجعل عملي هذا خالصاً له تعالى، وما كان فيه من صواب، فهو من توفيق الرحمن، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأنا راجع عنه عند التبيان، وأن يجعله في ميزان أعمالي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وكتبه

عدنان بن حمود أبو زيد

بغداد دار السلام ٢١/جمادى الآخر/١٤٢٤هـ



هذه رسالة في اثبات الاستوى
والفوقية وتنزيه البارئ جل وعلا عن
الحصر والتمثيل والكيفية تأليف
الشيخ الامام العالم العلامة
ابي المعالي عبد الله بن
يوسف الجويني شافعي
نفع الله ببركاته وعلومه
في الدنيا والآخرة
بمنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي كان ولا مكان ولا انس ولا جان • ولا طائر
ولا حيوان • المنفرد بوحدانيته • في قدم ازليته • والدائم
في فردانيته • في قدس صمدانيته • ليس له سمي ولا وزير •
ولا شبيه ولا نظير • المقتدر بالخلق والتصوير • المتعزز
بالتدبير والتقدير • ليس كمثله شيء وهو السميع البصير •
ذو الرفعة والعلاء • والمجد والثناء • والعلو والاستواء •
لا تحصره الاجسام • ولا تصوره الاوهام • ولا تناله
حوادث ولا الايام • ولا تحيط به العقول ولا الافهام •
له الاسماء الحسنى • والشرف الاتم الاسنى • والعلو الاعلى
لا يشبه ولا ينبغي • نصفه بما وصف به نفسه من الصفات
التي توجب عظمته وقدسه • كما انزله في كتابه • وبينه
رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه • وهو من انه تعالى
لا اله الا هو حي قيوم • سميع بصير عليم • متكلم
رحمن رحيم • ملك قدوس عظيم • لطيف خبير •
قريب مجيب • متكلم بما شاء يريد • يفعل ما يريد بحكمته
ويرضى ويغضب • ويحب ويبغض • ويكره ويضحك • ويأمر
وينهى ذو الوجه الكريم • والسمع السميع والبصر البصير •

والكلام المتين • واليدين والقبضتين • والقدرة و
السلطان • والعظمة والامتنان • لم يزل كذلك ولا يزال
مستوى على عرشه • فبان من خلقه • لا يخفى عليه منهم خافية
علمه بهم محيط • وبصره بهم نافذ • وهو في ذاته وصفاته
لا يشبهه شيء من مخلوقاته • ولا يمثل بشيء من جوارح مبدعاته
في صفات لائقة بجلاله وعظمته • لا تتخيل كيفيتها
الظنون • ولا تراها في الدنيا العيون • بل نؤمن بحقائقها
وثبوتها • واتصاف الرب تعالى بها • وننفي عنها تأويل
المتأولين • وتعطيل الجاحدين • وتمثيل المشبهين •
تبارك الله احسن الخالقين • فبهذا الرب نؤمن •
واياه نعبد • وله نصلي ونسجد • فمن قصد بعبادته الها
ليست له هذه الصفات فانما يعبد غير الله وليس معبوده
ذلك باله فكفرانه لا غفرانه • ونشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله اصطفاه
لرسالته • واختاره لبريته • وانزل عليه كتابه المبين
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد • صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الكرام
[illegible] • وبعد فهذه نصيحة
[illegible] والاخوان
[illegible] في الله [illegible] صفات
[illegible] لا يكمل ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحبه

جهة المركز والنصف الاسفل هو ايضا فوق النصف الذي
كان النصف الاعلى فوق النصف الاسفل ولفظ الاسفل فيه
مجاز بحسب ما يتخيل للناظر وكذلك كرة الما المحيطة بكرة
الارض الاسفل منها ان العوام على ذلك السدس والما فوق الار
كيف كان وان كنا نرى الارض مدحية على ان الما فوقها
وكذلك كرة الهوا محيطة بكرة الما وهي فوقها واذا كان الا
كذلك فالسما التي تحت النصف الاسفل من كرة الارض هي فوق
لا تحته لان السما على الارض كيف كانت فعلوها على الارض
بالذات فقط لا يكون تحت الارض بوجه من الوجوه واذا كا
هذا جسم وهو السما علوها على الارض بالذات فكيف من ليس
كمثله شي وعلوه على كل شي بالذات كما قال تعالى سبح
اسم ربك الاعلى وقد تكرر في القران المجيد ذكر الفوقية
يخافون ربهم من فوقهم اليه يصعد الكلم الطيب وهو القاهر
فوق عباده لان فوقيته سبحانه وعلوه على كل شي ذاتي له
فهو العلي بالذات والعلو صفته اللائقة به كما ان السفول
[illegible] وصف ذاتي للاكوان [illegible]
[illegible] وعظمته وعلوه والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق
يتميز به عنه فهو سبحانه علي بالذات وهو كما كان قبل خلق
الاكوان مما سواه مستغن عنه بالذات [illegible]
العلي على عرشه يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج
اليه فيحيي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا [illegible]

ويذل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شي قائم به ورحم الله
من وصلت اليه هذه الرسالة ولم يعالجها بالانكار وافتقر الى ربه
في كشف الحق آناء الليل والنهار وتامل النصوص في الصفات وفكر
بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له وما الذي اريد بها
[illegible] ومن فتح الله قلبه عرف انه ليس المراد الا حقيقتها [illegible]
[illegible] والتوجه اليها واثباتها المحققة واعتقادها [illegible]
[illegible] من غير تاويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا جحود [illegible]
[illegible] وبذلك بلاغ لمن اعتبر وكان من اهل الاستبصار ان شا الله تعالى
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وذريته واهل بيته
وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

الحمد لله الذي كان ولا مكان ولا أنس ولا جان ولا طائر ولا حيوان، المنفرد بوحدانيته في قدم أزليته، والدائم في فردانيته في قُدْسِ صمدانيته، ليس له سَمِّي ولا وزير ولا شبيه له[1] ولا نظير، المقتدر[2] بالخلق والتصوير، المُتصرف بالمشيئة والتقدير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية ١١).

له الرفعة والعلاء، والحمد والثناء، والعلو والاستواء، لا تحصره الأجسام، ولا تصوره الأوهام، ولا تقله الحوادث، ولا الأجرام ولا تحيط به العقول ولا الأَفْهَام، له الأسماء الحُسنى، والشرف الأتم الأسنى، والدوام الذي لا يَبِيِّد ولا يفني.

نصفه بما وصف به نفسه من الصفات التي تُوجب عظمته وقُدْسه، كما[3] أنزله في كتابه وبينه رسوله ﷺ في خطابه، ونؤمن بأنه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم السميع البصير العليم القدير الرحمن الرحيم الملك القُدوس العظيم لطيف خبير قريب مجيب مُتكلم شاء مريد فعال لما يريد، يقبض ويبسط ويرضى ويغضب ويحب ويبغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى، ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر البصير، [٢/أ] والكلام المتين[4]، واليدين والقبضتين ، والقدرة والسلطان، والعظمة والامتنان؛

---

(١) لا يوجد في المطبوع: ((له)).

(٢) في المطبوع: ((المتفرد)).

(٣) في المطبوع: ((بما)).

(٤) في المطبوع: ((المبين)).

والعظمة والامتنان؛ لم يزل كذلك ولا يزال ، استوى على عرْشه ؛ فبان من خلقه لا يخفى عليه منهم خافية. علمه بهم مُحيط وبصره بهم نافذ، وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولا يُمثل بشيء من جوارح مبدعاته[1] في صفات لائقة بجلاله وعظمته، لا تتخيل كيفيتها الظنون، ولا تراها في الدنيا العُيون، بل نُؤمن بحقائقها وثبوتها واتصاف الرب تعالى بها، وننفي عنها تأويل المتأولين، وتعطيل الجاحدين، وتمثيل المشبهين تبارك الله أحسن الخالقين. فبهذا الرَّب نُؤمن، وإياه نَعْبد، وله نُصلي ونَسْجد؛ فَمَنْ قَصَد بعبادته إلى إله ليست له هذه الصِّفات؛ فإنما يَعْبد غير الله، وليس مَعْبوده ذلك بإله. فكُفرانه لا غُفرانه.

ونشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، اصطفاه لرسالته واختاره لبريته، وأنزل عليه كتابه المُبين الذي لا يأتيه الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أكرم الآل وأفضل العبيد.

وبعد: فهذه نصيحة كتبتها إلى إخواني في الله أهل الصِّدق والصفاء والإخلاص والوفاء. لمّا تعين عليَّ من محبتهم في الله، ونصيحتهم في صفات الله عز وجل، فإن المرء لا يَكْمُلُ إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحبه [٢/ب] لنفسه[2].

---

(١) في المطبوع: ((مبتدعاته)).

(٢) يشير إلى قوله ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))، الذي أخرجه البخاري (١/ ١٠)، رقم (١٣)، ومسلم (١/٦٧)، رقم (٤٥)، والنسائي في الكبرى (٨/١١٥)، رقم (٥٠١٦)، والترمذي (٤/٦٦٧)، رقم (٢٥١٥)، جميعهم من حديث أنس ﷺ.

١. وفي الصحيح عن جَرِيْر بن عبد الله البَجْلي، قال: بَايَعْتُ رَسُول الله ﷺ على إقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكَاةِ والنُّصْحِ[1] لِكُلِّ مُسْلِمٍ[2].

٢. وعن تَميم الدَّاري أن النبي ﷺ قال: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) ثلاثاً، قال: لِمَنْ ؟ قال: ((للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ ولأئمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[3].

أعرفهم ـــ أيدهم الله بتأييده ، ووفقهم لطاعته ومزيده ـــ إنني كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل: مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك ، من تأويل الصفات وتحريفها ، أو امرارها ، أو الوقوف فيها،

---

[1] في الأصل: ((النصيحة))، وهو خطاء، والصواب ما أثبته، كما هو عند من أخرجه.

[2] الحديث أخرجه البخاري: (٣١/١)، رقم (٥٧)، ومسلم (٧٥/١)، رقم (٥٦)، والترمذي (٣٢٤)، رقم (١٩٢٥)، وأحمد = = (٣٦٠/٤)، رقم (١٩٢١٤)، و(٣٦٥/٤)، رقم (١٩٢٦٥)، والحميدي (٣٤٩/٢)، رقم (٧٩٥)، وابن خزيمة (١٣/٤)، رقم (٢٢٥٩)، والدارمي (٣٢٢/٢)، رقم (٢٥٤٠)، والطبراني في الكبير (٢٢٤٤)، جميعهم من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قس بن أبي حازم عن جرير به، والنسائي في الكبرى (١٤٧/٧)، رقم (٤١٧٥)، وأحمد (٣٥٨/٤)، رقم (١٩١٨٥)، وفيه زيادة: ((وعلى فراق كل مشرك)) .

[3] الحديث أخرجه مسلم: (٧٤/١)، رقم (٥٥)، والبخاري(٢٢/١) علقه في ترجمة الباب و لم يخرجه مسنداً، ووصله ابن حجر في التغليق (٥٤/٢-٦١)، وابو عوانة (٣٦/١)، والنسائي(١٥٦/٧)، وأحمد (١٠٢/٤)، (١٦٩٨٢)، وابن حبان (٤٣٥/١٠)، (٤٥٧٤)، والطبراني (١٢٦٠)، والبيهقي (١٦٣/٨)، رقم (١٦٤٣٤)، كلهم من طريق سهيل بن أبي صالح السمان عن عطاء بن يزيد الليثي عن تميم الداري به.

وأخرجه أيضاً: أحمد (٢٩٧/٢)، رقم (٧٩٤١)، والنسائي (١٧٥/٧)، والترمذي (٣٢٤/٤)، رقن (١٩٢٦)، من حديث أبي هريرة، والدارمي (٤٠٢/٢)، رقم (٢٧٥٤)، من حديث بن عمر، وأحمد (٣٥١/١)، رقم (٣٢٨١)، من حديث بن عباس.

أو إثباتها بلا تأويل، ولا تعطيل ، ولا تشبيه ، ولا تمثيل ؛ فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت.

ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤول النزول بنزول الأمر، ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين، ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك. ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائماً بالذات بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

وممن ذهب إلى هذه الأقوال [٣/أ] وبعضها قوم لهم في صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين؛ لأني على مذهب الشافعي رضي الله عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه؛ فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي، ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم.

ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها؛ فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره.

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو، والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أجدها نصوصاً تشير إلى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول ﷺ قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها، وأعلم بالاضطرار أنه ﷺ كان يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل والذكي والبليد والإعرابي والجافي.

ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لا نصاً، ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها، ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين

مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء، ونزول الأمر للنزول، وغير ذلك و لم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية، واليدين وغيرها، و لم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المرئية، ويد النعمة والقدرة وغير ذلك، وأجد الله عز وجل يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(طه:٥)، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (يونس: من الآية٣)، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: من الآية٥٠)، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر: من الآية١٠)، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾ (الملك: الآية ١٦ – ١٧)، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ (النحل: من الآية١٠٢)، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾ (غافر: الآية ٣٦-٣٧)، وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾ (غافر: من الآية٣٧)، وقوله تعالى: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: الآية ٣-٤).

ثم أجد الرسول ﷺ لما أراد الله تعالى أن يخصه بقربه عرج به من سماء إلى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى.

٣ ثم قوله ﷺ في الحديث الصحيح للجارية: ((أَيْنَ اللهُ؟))، فقالت: في السَّمَاءِ، فلم يُنْكِر عليها بحضرة أصحابه كيلا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو، بل أقرها وقال: ((اعْتِقْهَا فإنَّها مُؤْمِنَةٌ))[١].

٤. وفي حديث جُبَيْر بن مُطْعِم، قال: قال النبي ﷺ: ((إنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ وَسَمَاوَاتُهُ فَوْقَ أَرْضِهِ مِثْلَ القُبَّةِ [٤/أ]، وَأَشَارَ النبي ﷺ بِيَدِهِ مِثْلَ القُبَّةِ))[٢].

---

(١) يشير إلى حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ، حيث قال: كان لي جارية ترعى غنماً لي قِبَل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشلة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم أسف كما يأسفون، لكني صككتها صكه، فأتيت رسول الله ﷺ، فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال: ((أتني بها))، فأتيته بها، فقال لها: ((أين الله))، فقالت: في السماء، قال: ((من أنا))، قالت: أنت رسول الله، قال: ((أعتقها فإنها مؤمنة)).
أخرجه مسلم واللفظ له (٣٨١/١)، رقم (٥٣٧)، ومالك (٧٧٦/٢)، رقم (١٤٨٦)، وأحمد (٤٤٧/٥)، رقم (٢٣٨١٣)، و(٤٤٨/٥)، رقم (٢٣٨١٦)، والنسائي في الكبرى (٣٦٢/١)، رقم (١١٤١)، و(١٧٣/٥)، رقم (٨٥٨٩)، وأبو داود (٢٤٤/١)، رقم (٩٣٠)، وابن أبي شيبة (١٦٢/٦)، رقم (٣٠٣٤٢)، وابن حبان (٣٨٣/١)، رقم (١٦٥)، والطبراني في الكبير رقم (٩٣٧)، والبيهقي في الكبري (٣٨٧/٧)، رقم (١٥٠٤٣)، و(٥٧/١٠)، رقم (١٩٧٦٩)، جميعهم من طريق يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ به.

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية: (٧١)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٢/١)، وأبو داود (٢٣٢/٤)، رقم (٤٧٢٦)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧)، والبزار (٣٥٤/٨)، رقم (١٣٤٣٢)، والدراقطني في الصفات: ٣١، والخطيب في تاريخ بغداد (٤٠/٤)، والمزي في تهذيب الكمال (٥٠٥/٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٥٢/١)، وقال: ((إسناده ضعيف، ورجاله ثقات، لكن ابن إسحاق مدلس، ومثله لا يحتج به إلا إذا صرح بالتحديث، وهذا ما لم يفعله في ما وقفت=

٥. وقوله ﷺ: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)) أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح[1].

= عليه من الطرق إليه)). أخرجوه جميعاً من طريق محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده .

قلت: وفيه جهالة جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، قال فيه الحافظ في التقريب (١٢٦/١): ((مقبول))، أي لا يقبل تفرده إلا إذا توبع، وكذلك عنعنة محمد بن إسحاق؛ فهو صدوق إذا صرح بالتحديث؛ وإلا فحديثه ضعيف.

(١) سننه (٣٢٣/٤)، رقم (١٩٢٤)، وهو الحديث المعروف بالمسلسل بالأولية.

وأخرجه كذلك الحميدي (٢٦٩/٢)، رقم (٥٩١)، والبخاري في الكنى من طريق شيخه الحميدي (٦٤/١)، وأحمد (١٦٠/٢)، رقم (٦٤٩٤)، وأبو داود (٢٨٥/٤)، رقم (٤٩٤١)، وابن أبي شيبة (٢١٤/٥)، رقم (٢٥٣٥٥)، والحاكم (١٧٥/٤) رقم (٧٢٧٤)، والطبراني في الأوسط (٢٣/٩)، رقم (٩٠١٣)، والبيهقي في الكبرى (٤١/٩)، رقم (١٧٦٨٣)، جميعهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ به، وأبو قابوس هذا لم يوثقه غير ابن حبان ٥/ ترجمة (٦٤٢٨)، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ترجمة (٢١٢٣)، وسكت عنه، وقال الذهبي في الميزان ٧/ ترجمة (١٠٥٣٠): ((مجهول))، وقال الحافظ في التقريب (٤٦٣/٢): ((مقبول))، وهذه الكلمة منه ليست نصاً في توثيقه؛ بل هي شرط لقبول روايته، ويفهم ذلك من قول الحافظ نفسه في مقدمة التقريب (٥/١)، فيمن هذه حاله حيث قال: ((من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يترك من أجله، وإليه الإشارة بلفظ مقبول، حيث يتابع))، وللحديث شواهد يتقوى بها الحديث؛ ولأجل ذلك صححه الترمذي فقال: ((حسن صحيح))، وعليه، فالحديث صحيح لغيره، وإليك بعض ما يشهد له:

١. ما أخرجه البخاري (٢٢٣٥/٥)، رقم (٥٦٥١)، ومسلم (١٨٠٨/٤)، رقم (٢٣١٨)، من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، بلفظ: ((من لا يرحم لا يرحم)).

٦. وعن مُعاوية بن الحَكَم السُّلَمي، قلت: يا رسول الله، أفلا اعْتِقُهَا، قال: ادعها، فدعوتها، قال: فقال لها: ((أَيْنَ اللهُ؟)) قالت: في السَّمَاءِ، قال: ((مَنْ أَنَا)) قالت: أَنْتَ رَسُولُ الله قال ﷺ: ((اعْتِقْهَا فإنَّها مُؤْمِنَةٌ)). رواه مسلم، ومالك في موطئه[1].

٧. وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ اشْتَكَى مِنْكُمْ شَيْئًا أَوْ اشْتَكَى أَخٌ لَهُ فَلْيَقُل: رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِل رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى الوَجعِ فَيَبْرَأَ)) أخرجه أبو داود[2].

---

٢. ما أخرجه البخاري (٦/٢٦٨٦)، رقم (٦٩٤١)، من حديث جرير بلفظ: ((لا يرحم الله من لا يرحم الناس))، ومسلم أيضاً (٤/٨٠٩)، رقم (٢٣١٩)، بلفظ: ((من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)).

٣. ما أخرجه الطيالسي (١/٤٤)، رقم (٣٣٥)، وهناد بن السري في الزهد (٢/٦١٦)، رقم (١٣٢٣)، وأبو يعلى (٨/٤٧٤)، رقم (٥٠٦٣)، والطبراني في الكبير رقم (١٠٢٧٧)، جميعهم من حديث عبد الله بن مسعود بلفظ: ((أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء)).

ثم بعد ذلك وجدت طريقاً أخر أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (١/٥٦٦)، قال: حدثنا أبي ثنا عبد الله بن محمد الزهري ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو ﷺ به، حيث تابع عمرو بن أوس، أبو قابوس متابعة تامة.

(١) مر تخريجه في الصفحة السابقة، حديث رقم (٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/١٢)، رقم (٣٨٩٢)، وأحمد (٦/٢٠)، رقم (٢٤٠٠٣)، والحاكم (١/٤٩٤)، رقم (١٢٧٢)، و(٤/٢٤٣)، رقم (٧٥١٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٢٥٧)، رقم (١٠٨٧٦)، و(١٠٨٧٧)، والطبراني في الأوسط (٨/٢٨٠)، رقم (٨٦٣٦)، أخرجوه من طريق الليث عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرضي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء به.

٨. وعن أبي سعيد الخُدْري، قال: بَعَثَ عَليٌّ مِنْ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا ؛ فَقَسَمَهَا رسول الله ﷺ بَيْنَ أرْبَعَةٍ: زَيْدِ الخَيْرِ وَالأقْرَعَ بنْ حَابِسٍ وعُيَيْنَةَ بِنْ حِصْنٍ وعَلْقَمة بن عَلاثَة أو عَامِرِ بن الطُّفَيْلِ، شك عُمَارة، فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ بَعْضُ أصْحَابِهِ والأنْصار وغَيْرِهِم، فقال رسول الله ﷺ: ((ألاَ تَأْمَنُونِي وأنَا أمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ مَنْ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً))[1] أخرجه البخاري ومسلم.

قلت: زيادة هذا هو علة الحديث، ذكره البخاري في التاريخ: ٣/ ترجمة (١٤٩٠)، وابن أبي حاتم : ٣/ ترجمة (٢٨٠٦)، والنسائي في الضعفاء: ترجمة (٢٢١)، قالوا جميعهم فيه: ((منكر الحديث))، وابن حبان في المجروحين: ١/ ترجمة (٣٦٨) وقال: ((منكر الحديث جداً، يروي المناكر عن المشاهير؛ فأستحق الترك))، والذهبي في الميزان: ٣/ ترجمة (٢٩٩١)، وقال: ((أنفرد بحديث الرقية))، وأخرجه النسائي أيضاً في الكبرى (٦/٢٥٧)، رقم (١٠٨٧٥)، وفي عمل اليوم والليلة (١/٥٦٥)، على اختلاف في إسناده وجهالة، وفيه حبيب والد طلق، فتارة أورده من طريق طلق بن حبيب عن أبيه، وتارة عن رجل عن أبيه، فتبين من ذلك كله ضعف الحديث، والله أعلم.

[1] الحديث أخرجه البخاري (٤/١٥٨١)، رقم (٤٠٩٤)، ومسلم (٢/٧٤٢)، رقم (١٠٦٤)، وابن خزيمة (٤/٧١)، رقم (٢٣٧٣)، واللفظ له على اختلاف يسير في بعض ألفاظه، وأحمد (٣/٤) رقم (١١٠٢١)، وأبو يعلى (٢/٣٩١)، رقم (١١٦٣)، جميعهم من طريق عمارة بن القعقاع عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري به.

وللحديث بقية إلا عند بن خزيمة، واليك بها: ((فقام رجل ثائر الرأس غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله أتق الله ! فقال: ((ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله))، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال: ((لا لعله يصلي))، قال خالد: وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس بقلبه، فقال رسول الله ﷺ: ((إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم))، =

٩. وعن ابن أبي [٤/ب] ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ المَيِّتَ تَحْضُرُهُ الملائكةُ؛ فإذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِح ، قَالُوا: أخرُجِي أيَّتها النَّفسُ الطَّيِّبة ! كَانَت فِي الجَسَد الطَّيِّب اخرُجِي حَمِيدَةً، وابْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحانٍ وَرَبٌّ غَيرِ غَضْبانَ ؛ فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِك حَتَّى تَخرُجَ . ثُمَّ يُعْرَجُ بها إلى السَّمَاءِ؛ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقال: مَنْ هذا ؟ فَيَقُولُ : فُلانٌ ، فَيَقُولُون: مَرْحَباً بالنَّفسِ الطَّيِّبةِ كَانَت في الجَسَدِ الطَّيِّبِ ادْخُلِي حَمِيدَةً، فابْشِري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٌّ غَيْرِ غَضْبانَ ؛ فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِك حَتَّى يُنْتَهى بِها إلى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلّ))[١] الحديث

١٠. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأتَهُ إلى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إلا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا))[٢] أخرجه البخاري ومسلم.

= قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال: ((إنه يخرج من ضئضئي هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما السهم من الرمية))، قال: أظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود))، والرجل الذي قام هو ذو الخويصرة، والقوم الذين يخرجون من ضئضئه أي من أصله ونسله هم الخوارج.

[١] الحديث أخرجه أحمد (٢/٣٦٤)، رقم (٨٧٥٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٤٣)، رقم (١١٤٤٢)، وابن ماجة (٢/١٤٢٣)، رقم (٤٢٦٢)، وقال في مصباح الزجاجة: ((إسناده صحيح))، وهو كما قال إن شاء الله تعالى، وجميعهم أخرجه من طريق عبد الرحمن بن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة به.

[٢] الحديث أخرجه مسلم (٢/١٠٦٠)، رقم (١٤٣٦)، من طريق يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة به، واللفظ له، والبخاري (٣/١١٨٣)، رقم (٣٠٦٥)، (٥/١٩٩٣)، رقم (٤٨٩٧)، وأبو داود (٢/٢٤٤)، رقم (٢١٤١)، وأبو عوانة (٣/٨٦)، رقم (٤٢٩٦) ، وابن أبي=

١١. أبو داود: حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عَميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة ؛ فنظر إليها فقال: ((مَا تُسَمُّونَ هذِهِ ؟))، قالوا : السَّحَاب ، قال : ((والمُزْنُ))، قالوا : والمُزْنُ ، قال : ((وَالعَنَانُ))، قالوا : وَالعَنَانُ ــ قال أبو داود : لم أتقن العنان جيداً ــ قال : ((هَلْ تَدْرُوْنَ مَا بُعْد مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟))، قالوا : لا نَدْرِي ، قال: ((إنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُما إمَّا وَاحِدَةٌ [٥/أ] وإمَا اثْنَتان أو ثَلاَثَةٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً . ثُمَّ السَّمَاءِ فَوْقَها كَذلِك))، حتى عد سبع سماوات ، ((ثُمَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَله وَأعْلاه مِثْلَ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إلى سَمَاء ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أوْعَالٍ بَيْنَ أظْلاَفِهم ورُكَبِهم مِثْل مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إلى سَمَاء ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِم العَرْشُ بَيْنَ أسْفَله وأعْلاه مِثْل مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إلى سَمَاءٍ ، ثُمَّ اللهُ ــ تَبَارَكَ وتَعَالَى ــ فَوْقَ ذَلِكَ))[1].

= شيبة (٥٥٨/٣)، رقم (١٧١٣٣)، وابن حبان (٤٨١/٩)، رقم (٤١٧٣)، والبيهقي في الكبرى (٣٩٢/٧)، رقم (١٤٤٨٥).

(١) الحديث أخرجه أبو داود (٢٣١/٤)، رقم (٤٧٢٣)، والترمذي (٤٢٤/٥)، رقم (٣٣٢٠)، وأحمد (٢٠٦/١)، رقم (١٧٧٠)، وابن ماجة (٦٩/١)، رقم (١٩٣)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (٩)، والحاكم (٣١٦/٢)، رقم (٣١٣٧)، (٣٤٢٨)، (٣٨٤٩)، والبزار (١٣٥/٤)، رقم (١٣١٠)، وأبو يعلى (٧٥/١٢)، رقم (٦٧١٣)، واللفظ لأبي داود.

قلت: فيه الوليد بن عبد الله بن أبي ثور الكوفي، قال فيه الحافظ في التقريب (٣٣٣/٢): ((ضعيف))، وكذلك جهالة عبد الله بن عميرة، قال فيه الذهبي في الميزان (١٥٧/٤): ((فيه جهالة، قال البخاري لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس له عنه عن العباس حديث المزن والعنان، رواه عنه سماك بن حرب ورواه عن سماك الوليد بن أبي ثور وجماعة ورواه أيضا يحيى بن العلاء، وهو واه، عن عمه شعيب بن خالد عن سماك))، فتبين من ذلك ضعف الحديث، والله أعلم.

قال الإمام الحافظ عبد الغني[1] في عقيدته لما ذكر حديث الأوعال قال: رواه ابو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال: حديث الروح رواه احمد والدارقطني.

١٢. وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابَاً قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقِ أنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ))[2] أخرجه البخاري ومسلم .

١٣. محمد بن إسحاق عن معبد بن كعب بن مالك إن سعد ابن معاذ لمَّا حَكَمَ في قريظة قال له رسول الله ﷺ : ((لَقَدْ حَكَمْتَ حُكْمَاً حَكَمَ اللهُ بِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ أرْقِعَةٍ))[3].

١٤. وحديث المعراج عن انس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة اسري به ، وساق الحديث إلى أن قال : ((ثُمَ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَلاةُ

---

[1] هو الإمام الحافظ الكبير القدوة العابد تقي الدين عبد الغني بن الواحد بن علي بن سرور، أبو محمد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي ، أنظر المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١٥٢/٢-١٥٥)، وله ترجمة حافلة في السير (٤٤٤/٢١-٤٧١)، أجاد فيها الإمام الذهبي، وما نقل هنا عنه سقط من طبعة المكتب الإسلامي، وما نشر ضمن: "أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة". وهو ما يفصل النزاع في نسبة الكتاب؛ لأن الحافظ عبد الغني توفي سنة (٦٠٠)، والإمام الجويني الأب توفي سنة (٤٣٨).

[2] أخرجه البخاري (٢٧٠٠/٦)، رقم (٦٩٨٦)، و(٢٧١٢/٦)، رقم (٧٠١٥)، و(٢٧٤٥/٦)، رقم (٧١١٥)، واللفظ له، ومسلم (٢١٠٧/٢)، رقم (٢٧٥١)، وأحمد (٤٦٦/٢)، رقم (١٠٠١٥)، والنسائي في الكبرى (٤١٨/٤)، رقم (٧٧٥٧)، وأبو يعلى (٣١٦/١١)، رقم (٦٤٣٢).

[3] الحديث أصله في صحيح البخاري (١٥١١/٤)، رقم (٣٨٩٥)، ومسلم (١٣٨٨/٣)، رقم (١٧٦٨)، والطحاوي في شرح معاني الأثار (٢١٦/٣)، والبزار (٣٠١/٣)، رقم (١٠٩١)، والبيهقي في الكبرى (٦٣/٩)، رقم (١٧٧٩٦).

خَمْسِيْنَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ ؛ فَرَجَعْتُ ؛ فَمَّررتُ على مُوسى ، فقال : بِمَا أُمرت ، قال : أُمِرْتَ بخَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ ، قال : إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً ، وإنِّي قَدْ خَبَرتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالجتُ بَنِي إسرائيل اشد المُعَالجة ؛ فَارْجِعْ إلى رَبِّكَ، وَأساله التَخْفِيفَ لأُمَّتِكَ ، قال: فَرَجَعْتُ ؛ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْر ؛ فَرَجَعْتُ إلى مُوسى، فقال مثل ذَلِك [٥/ب]؛ فَرَجَعْتُ إلى ربِّي، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً خَمْسَ مَرَّاتٍ في كُلِّها يَقُول: فَرَجَعْتُ إلى مُوسى؛ ثُمَّ رَجَعْتُ إلى رَبِّي))(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

١٥. حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((يَتَعَاقَبُون فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الفَجْرِ، وَصَلاةِ العَصْرِ؛ ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيهِ الذِينَ بَاتُوا فِيْكُم؛ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي))(٢) متفق عليه.

١٦. وعن ابن عمر قال: لـمَّا قُبِضَ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ ابو بَكْرٍ رضي الله تعالى عنه فأَكَبَّ عَلَيْهِ، وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتاً، وَقَال: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً ؛ فإنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ ؛ فَإنَّ اللهَ حَيٌّ فِي

(١) حديث الإسراء والمعراج أخرجه البخاري (١/١٣٦)، رقم (٣٤٢)، (٣/١٢١٧)، رقم (٣١٦٤)، و(٦/٢٧٣٠)، رقم (٧٠٧٩)، ومسلم (١/١٤٦)، رقم (١٦٢)، و(١/١٤٨)، رقم (١٦٣)، والنسائي (١/٢٢١)، وابن ماجة (١/٤٤٨)، رقم (١٣٩٩)، وأحمد (٣/١٤٨)، رقم (١٢٥٢٧)، و(٤/٢٠٨)، رقم (١٧٨٦٩)، واللفظ له، وأبو يعلى (٦/٢١٦)، رقم (٣٤٩٩).

(٢) الحديث أخرجه مالك (١/١٧٠)، رقم (٤١١)، والبخاري (١/٢٠٣)، رقم (٥٣٠)، و(٦/٢٧٠٢)، رقم (٦٩٩٢)، و(٧٠٤٨)، ومسلم (١/٤٣٩)، رقم (٦٣٢)، وابن خزيمة (١/١٦٥)، رقم (٣٢١)، والنسائي (١/٢٤٠)، وأحمد (٢/٣١٢)، رقم (٨١٠٥)، و(١٠٣١٤)، واللفظ له، وأبو يعلى (١١/٢١٥)، رقم (٦٣٣٠)، و(٦٣٤٢)، وابن حبان (٥/٢٨)، رقم (١٧٣٦).

السَّمَاءِ[1] لا يَمُوتُ . [2]رواه البخاري[3] عن محمد بن فضيل عن فضيل عن ابن غزوان عن نافع عن بن عمر[4].

١٧. وعن أنس بن مالك: كانت زَيْنَب تَفْخَرُ على أزْوَاج رسول الله، تقول: إنَّ اللهَ زَوَّجَنِي مِنْ السَّمَاءِ، وَفِي لَفْظٍ: زَوَّجَكُنَّ أهْلُوكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ . أخرجه البخاري[5].

١٨. وحديث عبد الله بن مسعود قال قال ﷺ : ((مَنْ لَمْ يَرْحَمْ مَنْ فِي الأرْضِ لِمْ يَرْحَمهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ))[6].

١٩. وحديث ابن عباس إن رسول الله ﷺ لما أُسْرِيَ بِهِ، مَرَّتْ بِهِ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ؛ فقلت: ((يَا جِبْرِيلُ ! مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ ؟))، فقال: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، كَانَتْ تُمَشِّطُهَا، فَوَقَعَ مِنْ يَدِهَا، فقالت: بِسْمِ اللهِ ! تَعِسَ فِرْعَوْنُ، فقالت: [٦/أ]

---

(١) سقط من المطبوع: ((في السماء)).

(٢) من هنا يبدأ السقط من طبعة المنيرية.

(٣) التاريخ الكبير (٢٠١/١)، وأصل الحديث عند البخاري (١٣٤١/٣)، رقم (٣٤٦٧).

(٤) وقع في طبعة المكتب الإسلامي(ص ٢٨)، في أربح البضاعة (ص ٤٥): ((وعن محمد بن فصيل عن فضيل بن غزوان عن نافع عن ابن عمر عن أنس بن مالك)) وهو خطأ بين ، فتأمل.

(٥) صحيحه (٢٦٩٩/٦)، رقم (٦٩٨٤)، وأحمد (٢٢٦/٣)، رقم (٣٣٨٥)، والترمذي (٣٥٤/٥)، رقم (٣٢١٣)، والبيهقي في الكبرى (٥٧/٧)، رقم (١٣١٣٩)، من طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس به. والنسائي (٧٩/٦)، من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين عن عيسى بن طهمان عن أنس به، والطبراني في الكبير (١٠٧). إلا لفظ ((زوجني)) عندهم ((أنكحني)).

وأخرجه البخاري عالياً (٢٦٩٩/٦)، رقم (٦٩٨٥)، من طريق خلاد بن يحيى عن عيسى بن طهمان عن أنس به.

(٦) أخرجه الطيالسي (٤٤/١)، رقم (٣٣٥)، وأبي يعلى (٤٧٤/٨)، رقم (٥٠٦٣)، والطبراني في الكبير رقم (١٠٢٧٧)، وأنظر تخريج الحديث رقم (٣).

ابْنَةُ فِرْعَوْنُ أَوَلَكِ ربٌّ غَيْرَ أَبِي؟ قالت: نَعَمْ، قالت: أَفَأُخْبِرُ بِذَلِك ، قالت: نَعَـــمْ ؛ فَأَخْبَرَتْهُ ؛ فَدَعَا بِهَا، فقال: هَلْ لَكِ رَبًّا غَيْرِي، قالت: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ الـــذِي فِـــي السَّمَاءِ ؛ فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ؛ ثُمَّ دَعَا بِهَا، وَبِولدِهَا، فَأَلْقَاهُمْ فِيـــهَا ... الحديث)) . رواه الدارمي[1]، وغيره.

٢٠. وروى الدارمي أيضاً بإسناده إلى أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رســـول الله ﷺ: ((لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ فِي السَّمَاءِ وَاحِـــدٌ، وَأَنـــا فِـــي الأَرْضِ وَاحِدٌ أَعْبُدُكَ))[2].

---

[1] أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٧٣)، وأحمد (٣٠٩/١)، رقم (٢٨٢٢)، وأبي يعلـــى (٣٩٤/٤)، رقم (٢٥١٧)، وابن حبان (١٦٣/٧)، رقم (٢٩٠٣)، (٢٩٠٤)، والطبراني في الكبير رقم (١٢٢٧٩)، والحاكم (٥٣٨/٢)، رقم (٣٨٣٥)، والبيهقي في الشـــعب (٢٤٣/٢)، رقـــم (١٦٣٦)، جميعهم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن بن عباس به . وأورده الحافظ بن كثير في تفسيره (١٦/٣)، وقال: ((إسناد لا بأس به))، وكذلك الذهـــبي في العلو (٥٤/١)، وقال: ((هذا حديث حسن الإسناد)).

قلت: وعطاء بن السائب صدوق اختلط في أخره؛ فمن سمع منه قبل الاختلاط فحديثـــه مستقيم، كشعبة وسفيان الثوري وحماد بن زيد، ومن سمع منه بعد الاختلاط؛ فحديثه ضعيـــف، وكذلك من سمع منه في الحالين؛ مع عدم التفريق بين ما سمعه قبل الاختلاط وبعده؛ فمن كانت هذه حاله يتوقف فيه حتى يتابع، وحماد ممن سمع منه في الحالين، مع عدم التفريق، فعلى هـــذا فالســـند ضعيف، والله أعلم .

[2] أخرجه الدارمي: ٤٣ رقم (٧٥)، من طر يق أبي هشام الرفاعي عن إسحاق بن سليمان عن أبو جعفر الرازي عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة به، والخطيـــب في تـــاريخ بغـــداد (٣٤٦/١٠)، من نفس الطريق.

قلت: أبو هشام الرفاعي هذا شيخ الدارمي ، قال فيه الحـــافظ في التقريـــب (٢١٩/٢): ((ليس بالقوي))، والبخاري في التاريخ الصغير ٢/ ترجمة ٢٩٧٥: ((يتكلمون فيه))، والنسائي في =

وأما الآثار عن الصحابة في ذلك فكثير منها :

٢١ . قول عمر[1] ﷺ عن خَوْلة لما استوقفته فوقف لها ؛ فَسُئِل، فقال: هذه امِـــرْأة ، سَمِعَ اللهُ تَعْالى شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ .

ـ الضعفاء (٥٥١): ((ضعيف))، وأبو حاتم الرازي ٨/ ترجمة ٥٧٨: ((ضعيف يتكلمون فيـــه))، وأورد الذهبي الحديث في الميزان (٦/٣٧١)، وقال بعده: ((غريب جداً))، وقال الهيثمي في مجمـــع الزوائد: ((أخرجه البزار وفيه عاصم بن عمر بن حفص، وثقه ابن حبان وقال: يخطـــئ ويخـــالف، وضعفه الجمهور))، فتبين من ذلك كله ضعف إسناد الحديث.

(١) أوردها الدارمي في الرد على الجهمية : ٤٥ رقم (٧٩)، والبيهقي فس الاسماء والصفـــات: ٤٢٠ ، وابن كثير في تفسيره (٤/٣١٣) ، وعزاه ابن كثير لأبن أبي حاتم، جميعهم أخرجه من طريق موسى بن إسماعيل عن جرير بن حازم عن أبي يزيد المدني به، وقال الحافظ ابن كثير: ((هذا منقطـع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب))، وأورده أبن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٨٣١)، قـال: ((روى خليد بن دعلج عن قتادة قال خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدي فإذا بامرأة برزت علـى ظهر عليها عمر فردت عليه السلام وقالت هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا في ســـوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمـير المؤمنين فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشـي عليه الفوت، فقال: الجارود قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر دعها أما تعرفـــها، فهذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات؛ فعمر والله أحق أن يسمع لها. هكذا في هذا الخبر خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت، وهو وهم وخليد ضعيف سيء الحفظ وإنما هي امرأة أوس بن الصامت)).

قلت : وقتادة لم يسمع من عمر .

٢٢. وعبد الله بن رَوَاحة [١] لما وَقَعَ بجارية له ؛ فقالت له امرأته : فَعَلْتَهَا، قال: أمَا أنا فأقرأ القرآن ، فقالت : أما وأنتَ فلا تَقْرَأ القرآن ، وأنتَ جُنُبٌ ، فقال:

شَهِدْتُ بأنَّ اللهَ حقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مَثْوى الكَافِرِينَا
وأنَّ العَرْشَ فَوْقَ الماءِ طَافٍ ... وفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا
وتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ كِرَامٌ ... ملائِكَةُ الإلهِ مُسَوَّمِينَا

٢٣. وابن عباس لما دخل على عائشة وهي تموت، فقال لها: كنتِ أحَبَّ نِسَاءَ رسول الله إلى رسول الله، و لم يكن يُحبُّ إلا طَيِّباً، وأنزَلَ اللهُ بَرَاءَتكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ [٢].

---

[١] قصة عبد الله بن رواحة هذه أخرجها الدارمي : (٨٢)، وفي إسناده قدامة بن إبراهيم بن محمد الجمحي، قال الحافظ في التقريب (١٢٤/٢): ((مقبول))، أي أنه مجهول لا يقبل تفرده حتى يتابع، ثم أن روايته للحديث عن عمر فيه انقطاع لعدم إدراكه لعمر، وقال حافظ المغرب ابن عبد البر في الاستيعاب (٩٠٠/٢): ((رويناها من وجوه صحاح))، وقال الحافظ الذهبي في العلو(٤٩/١): ((روي من وجوه مرسلة)).

[٢] أورد هذه القصة الدارمي (٨٤)، وأخرجها البخاري بلفظ مقارب (١٧٧٩/٤)، رقم (٤٤٧٦)، وأحمد (٢٧٦/١)، رقم (٢٤٩٦)، وأبو يعلى (٥٧/٥-٥٨)، رقم (٢٦٤٨)، والطبري في تفسيره (١٠٧/٥)، وابن حبان (٧١٠٨)، الطبراني (٤٤٧٦).

وكذلك نجدُ أكابر العلماء كعبد الله بن المبارك ﷺ صرّح بمثل ذلك:

٢٤. [٦/ب] روى عثمان بن سعيد الدَّارمي[١]، قال: حدثنا الحسن بن الصَّبَّاح، قال: حدثنا عليّ بن الحَسن بن شَقِيق عن ابن المبارك، قيل له: كَيْفَ نَعْرِفُ ربَّنا ؟ قال: بأنه فَوْق السَّمَاءِ السَّابِعَة على العَرْشِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ.

فصل

لم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب و الأقوال حتى لَطف الله تعالى، وكشف لهذا الضعيف من وجه الحق كشفًا اطمأن إليه خاطره، وسكن به جميع سره، وتبرهن الحق في نوره، وهاأنا واصف بعض ذلك إن شاء الله تعالى، والذي شرح الله صدري له في حكم هذه الثلاث مسائل:

الأولى : مسألة العلو والفوقية والاستواء، هو أن الله تعالى عز وجل كان ولا مكان ولا عرش ولا ماء ولا فضاء ولا هواء ولا خلاء ولا ملاء، وأنه كان منفرداً في قدمه، وأزليته سواء متوحداً في فردانيته سبحانه في تلك الفردانية متره عن لوازم الحدوث، وصفاته فلما اقتضت الإرادة المقدسة بخلق الأكوان المحدثة المخلوقة المحدودة ذات الجهات اقتضت الإرادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل، وهو سبحانه متره عن صفات الحدث؛ فكون الأكوان، وجعل لها جهتا، والسفل، واقتضت الحكمة الإلهية

---

[١] السنن (٦٧)، وإسناده حسن، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/١٥٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات: ٤٢٧.

أن يكون في جهة التحت؛ لكونه مَربُوباً مخلوقاً، واقتضت العظمة الربانية أن يكون هـو فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته إذ لا فوق فهو لا تحت، والربّ سبحانه وتعالى كما كان في قدمه، وأزليته، وفردانيته [٧/أ] لم يحدث لـه في ذاته، ولا في صفاته ما لم يكن له في قدمه، وأزليته فهو الآن كما كان، لكن حدث المربوب المخلوق ذو الجهات، والحدود، والخلاء والملاء، وذو القوة، والفوقية، والتحتية كـان مقتضى حُكم عظمة الربوبية أن يكون فوق ملكه، وأن تكون المملكة تحت باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم من المكون؛ فإذا أشير إليه يستحيل أن يشار إلية من جهة التحتية أو من جهته اليمنية أو من جهته اليسرى؛ بل لا يلق أن يشار إليه إلا من جهتة العلـو، والفوقية؛ ثم الإشارة هي بحسب الكون، وحدوثه، وتسفله، فالإشارة تقع على أعلـى جزءٍ من الكون حقيقة وتقع على عظمة الإله تعالى كما يليق به لا كمـا يقـع علـى الحقيقة المعقولة عندنا في اعلى جزء من الكون ، فإنها إشارة إلى جسم، وتلك الإشـارة إلى إثبات.

فإذا عُلِم ذلك؛ فالاستواء صفة كانت له سبحانه في قدمـه لكـن لم يظـهر حُكمها إلا عند خلق العَرش كما أن الحساب صفة قديمة له لا يظهر حكمه إلا عنـد الآخرة، وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه إلا عند مَحلّه.

فإذا عُلِم ذلك؛ فالأمر الذي يهرب منه المتأولون حيث أوّلو الفوقيـة بفـوق المرتبة، والاستواء بالاستيلاء، فنحن أشد الناس هرباً منه، وتتريهاً للباري تعالى عن الحدّ الذي يحصره، فلا يُحَدُّ بحدٍ يحصره؛ بل يُحَدُّ بحدٍ تتميز به عظمته، وذاته عن مخلوقاتـه، والإشارة إلى الجهة إنما هو بحسب الكون، وتسفله [٧/ب] إذ لا يمكن الإشارة إليه إلا هكذا، وهو في قدمه سبحانه متره عن صفات الحدوث، وليس في القدم فوقية ولا تحتية، وأنى من هو محصور في التحتية لا يمكنه معرفة باريه إلا من فوقه فتقع الإشـارة علـى العَرش حَقيقة إشارة معقولة، وتنتهي الجهُات عند العَرش، ويبقى ما وراءه لا يدركـه

العقل، ولا يكيفه الوهم؛ فتقع الإشارة عليه كما يليق به مجملاً مثبتاً لا مُكيفاً، ولا ممثلاً.

وجه آخر من البيان

الرب تعالى ثابت الوجود ثابت الذات له ذات مقدسة متميزة عن مخلوقاته تتجلى للأبصار يوم القيامة، ويحاسب العالم؛ فلا يُجهل بثبوت ذاته، وتميزها عن مخلوقاته، وإذا ثبت ذلك فقد أوجد الأكوان في محل وحيز، وهو سبحانه في قدمه منزه عن المحل والحيز؛ فيستحيل شرعاً، وعقلاً عند حدوث العالم أن يحمل فيه أو يختلط به لأن القديم لا يحل في الحادث، وليس هو محلاً للحوادث؛ فلزم أن يكون بائناً عنه، وإذا كان بائناً عنه فيستحيل أن يكون العالم في جهة الفوق ، وأن بكون ربه سبحانه في جهته التحت هذا محال شرعاً، وعقلاً، فيلزم أن يكون فوقه، بالفوقية اللائقة به التي لا تكيف، ولا تمثيل بل تعلم من حيث الجملة، والثبوت لا بالتمثيل، والتكيف، وقد سبق الكلام في أن الإشارة إلى الجهة إنما هو باعتبارنا لانا في محل وحد وحيز، والقِدم لا فوق فيه ولا جهة، ولابد من معرفة المُوجد، وقد ثبت بينونته عن مخلقاته [٨/أ]، واستحال عُلوها عليه؛ فلا يمكن معرفته، والإشارة بالدعاء إليه إلا من جهة الفوق؛ لأنها انسب الجهات إليه، وهو غير محصور فيها هو كما كان في قدمه ، وأزليته، فإذا أراد المُحدث أن يشير إلى القديم؛ فلا يمكنه ذلك إلا بالإشارة إلى الجهة الفوقية؛ لأن المشير في محل له فوق، وتحت والمشار إليه قديم باعتبار قدمه لا فوق هناك ولا تحت، وباعتبار[١] حلوثنا وتسفلنا هو فوقنا .

---

(١) إلى هنا السقط في المطبوع.

فإذا أشرنا إليه تقع الإشارة عليه كما يليق به لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة إلى الأجسام لكننا نعلمها من جهة الإجمال والثبوت لا من جهة التمثيل والتكييف، والله الموفق للصواب.

ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة، وأنه ليس له إلا جهتا العلو والسفل؛ ثم اعتقد ببينونة خالقه عن العالم؛ فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه؛ لأن جميع جهات العالم فوق، وليس السفل إلا المركز وهو الوسط.

فصل

إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبه التأويل وعَماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له.

فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل [٨/ب]وعيٌّ مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن إثباتها، ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا، ولا نقف في ذلك، وكذلك التشبيه، والتمثيل حماقة، وجهالة؛ فمن وفقه الله تعالى للإثبات بلا تحريف، ولا تكييف، ولا وقوف، فقد وقع على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى.

فصل

والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، واليدين بالنعمتين، والقدرتين هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواء يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف، ولا تشبيه؛ فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به، ونذكر بيان ذلك أن شاء الله تعالى.

لا ريب أنا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام لله، ونحن قطعاً لا نعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من السمع، والبصر إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا؛ فكما أنهم يقولون: حياته ليست بعرض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك هي صفات كما يليق به لا كما يليق بنا؛ فكذلك نقول نحن: حياته معلومة، وليست مكيفة، وعلمه معلوم، وليس مكيفاً، [٩/أ] وكذلك سمعه، وبصره معلومان ليس جميع ذلك أعراضاً. بل هو كما يليق به، ومثل ذلك بعينه فوقيته، واستواؤه، ونزوله، ففوقيته معلومة أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع، وحقيقة البصر؛ فإنهما معلومان، ولا يكيفان كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم ثابت كثبوت السمع، والبصر غير مكيف، وكذلك نزوله ثابت معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق. بل كما يليق بعظمته، وجلاله صفاته معلومة من حيث الجملة، والثبوت غير معقولة من حيث التكييف، والتحديد فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه. أعمى من وجه، مبصراً من حيث الإثبات، والوجود. أعمى من حيث التكييف، والتحديد، وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله تعالى نفسه به، وبين نفي التحريف، والتشبيه،

والوقوف، وذلك هو مراد الرب تعالى منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها[1]، ونؤمن بحقائقها، وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف، والتأويل، ولا فرق بين الاستواء، والسمع، ولا بين النزول، والبصر الكل ورد في النص.

فإن قالوا لنا: في الاستواء شبهتم. نقول لهم: في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعرض، فإن قالوا: لا عرض بل كما يليق به. قلنا: في الاستواء، والفوقية لا حصر بل كما يليق به فجميع ما يلزمونا به في الاستواء، والنزول، واليد، والوجه، والقدم، والضحك، والتعجب من [٩/ب] التشبيه نلزمهم به في الحياة، والسمع، والبصر، والعلم؛ فكما لا يجعلونها هم أعراضاً كذلك نحن لا نجعلها جوارح، ولا ما يوصف به المخلوق، وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول، والوجه، واليد صفات المخلوقين؛ فيحتاجوا إلى التأويل، والتحريف.

فإن فهموا في هذه الصفات ذلك؛ فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض؛ فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه، والجسمية نلزمهم به في هذه الصفات من العرضية، وما ينزهوا ربهم به في الصفات السبع، وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها إلى التشبيه سواء بسواء، ومن أنصف عرف ما قلناه واعتقده، وقبل نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه، وتلك، ونفى عن جميعها التشبيه، والتعطيل، والتأويل، والوقوف، وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك؛ لأن هذه الصفات، وتلك جاءت في موضع واحد، وهو الكتاب، والسنة؛ فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه، وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ، وكفاية إن شاء الله تعالى.

---

(١) في المطبوع: ((به))، وفي الأصل ((بها))، وهو الأصح.

فصل

وإذا ظهر هذا، وبان انجلت الثلاث مسائل بأسرها وهي: مسألة الصفات من النزول، واليد، والوجه، وأمثالها، ومسألة العلو والاستواء، ومسألة الحرف، والصوت.

أما مسألة العلو، فقد قيل فيها ما فتحه الله تعالى [١٠/أ]، وأما مسألة الصفات، فتساق مساق مسألة العلو، ولا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين؛ بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله، وعظمته، فتنزل كما يليق بجلاله وعظمته، ويداه كما تليق بجلاله، وعظمته، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله، وعظمته؛ فكيف ننكر الوجه الكريم، ونحرف، وقد قال ﷺ في دعائه: ((أسألك لذة النظر إلى وجهك))[١]، وإذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث، وبغيره من الآيات، والنصوص؛ فكذلك صفة اليدين، والضحك، والتعجب، ولا يفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بالله عز وجل، وبعظمته لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء، والجوارح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

[١] حديث صحيح أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٨٨)، من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار به، وحماد بن زيد سماعه من عطاء بن السائب قبل تغيره، لأنه اختلط باخرة، والنسائي (٥٤/٣)، والبزار (٢٣٠/٤)، رقم (١٣٩٣)، من طريق يحيى بن حبيب بن عربي عن حماد به، وابن حبان (٣٠٥/٥)، رقم (١٩٧١)، من طريق ابن خزيمة عن أحمد بن عبدة الضبي عن حماد به، والحاكم (٧٠٥/١)، رقم (١٩٢٣)، من طريق حماد بن زيد أيضاً.

وأخرجه كذلك أحمد (٢٦٤/٤)، رقم (١٨٣٥١)، والنسائي (٥٥/٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١٨٥/١)، رقم (٤٢٤)، من طريق شريك عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن عمار به، ووقع عند أحمد " عن أبي مجلز عن عمار .

وإذا ثبت هذا الحكم في الوجه؛ فكذلك في اليدين، والقبضتين، والقدم، والضحك، والتعجب، كل ذلك كما يليق بجلال الله تعالى، وعظمته؛ فيحصل بذلك إثبات ما وصف الله تعالى نفسه به في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، ويحصل أيضاً نفي التشبيه، والتكييف في صفاته، ويحصل أيضاً ترك التأويل، والتحريف المؤدي إلى التعطيل، ويحصل أيضاً بذلك عدم الوقوف بإثبات الصفات، وحقائقها على ما يليق بجلال الله تعالى، وعظمته لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين.

وأما مسألة الحرف، والصوت [١٠/ب] فتساق هذا المساق فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد، وبجميع حروفه، فقال تعالى ﴿الم﴾، وقال: ﴿المص﴾(لأعراف:١)، وقال:﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾(ق:١)، وكذلك جاء في الحديث: ((فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب))[1]، وفي الحديث: ((لا أقول الم حرف،

---

(١) الحديث علقه البخاري في الصحيح بصيغة الجزم (١٧٣/١)، ذكرة تبويباً ووصله الحافظ في تغليق التعليق (٣٥٥/٥)، وحسن إسناده في الفتح (١٥٩/١)، وذكره البخاري مرة ثانية (٢٧١٩/٦)،ولكن علقه بصيغة التمريض، فقال: ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب))، وفي خلق أفعال العباد: ٩٨، وفي الأدب المفرد (٩٧٠).

وأخرجه أيضاً أحمد (٤٩٥/٣)، من طريق يزيد بن هارون عن همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابراً.. الحديث، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٠٢/٤)، وقال: ((رواه أحمد بإسناد حسن))، والحاكم(٤٧٥/٢)، رقم (٣٦٣٨)، من طريق يزيد بن هارون به، وابن أبي عاصم في السنة (٥٢٥/١)، فالحديث على ما تقدم اقل ما يقال فيه: حسن. ولمزيد بيان راجع الفتح (١٧٤/١).

ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف))[1] فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى إلا ما فهموه من كلام المخلوقين فقالوا: إذا قلنا بالحروف، فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح، واللهوات، وكذلك إذا قلنا بالصوت أدى ذلك إلى الحلق، والحنجرة عملوا في هذا من التخبيط كما عملوا فيما تقدم من الصفات.

والتحقيق هو أن الله تعالى تكلم بالحروف كما يليق بجلاله، وعظمته، فإنه قادر، والقادر لا يحتاج إلى جوارح، ولا إلى لهوات[2]، وكذلك له صوت كما يليق به يسمع، ولا يفتقر ذلك الصوت القدس إلى الحلق، والحنجرة، فكلامه تعالى كما يليق به، وصوته كما يليق به، ولا ننفي الحروف[3]، والصوت عن كلامه سبحانه؛ لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات؛ فإنهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك، وهذا

---

(1) الحديث أخرجه الدارمي (٣٣٠٨)، وابن المبارك في الزهد (٨٠٨)، والبخاري في التاريخ الكبير ١/ (٦٧٩)، والترمذي(١٧٥/٥)، رقم (٢٩١٠)، وقال: ((حديث حسن صحيح غريب)). ووقع في مصنف عبد الرزاق (٣٦٧/٣)، رقم (٥٩٩٣)، والطبراني في الكبير (٨٦٤٧)، موقوفاً على ابن مسعود، وله حكم الرفع، لأنه مما لا يقال بالرأي، والاجتهاد.

وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٦٠١٧)، والطبراني في الكبير (٨٦٤٦)، والحاكم (٧٤١/١)، رقم (٢٠٤٠)، والبيهقي في الشعب (٣٢٥/٢)، رقم (١٩٣٣)، ووقع عندهم فيه: ((إبراهيم بن مسلم الهجري))، وهو متروك.

(2) من المعلوم أن السلف رحمهم الله تعالى لم يجيزوا الكلام بمثل هذه الالزامات التي سكتوا عنها لا لأنهم لا يعلمونها، ولكن لكونها غير مأمور بها خاصة أنها تدور حول مسألة الصفات، لأن منهج الكتاب والسنة هو إثبات الصفات على وجه التفصيل، والنفي لما يماثلها على وجه الإجمال، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية١١)، ولكن المصنف ساقها بعد أن جاء برد السلف؛ فأورد الرد بنفس أسلوب أهل الكلام الذين خاضوا في هذه المسألة.

(3) في المطبوع ((الحرف)).

ينشرح الصدر له، ويستريح الإنسان به من التعسف، والتكلف بقوله: هذا عبارة عن ذلك. فإن قيل: فهذا الذي يقرأه القارئ هو عين قراءة الله تعالى، وعين تكلمه هو.

قلنا: لا بل القارئ يؤدي كلام الله تعالى، والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدءاً لا إلى من قاله مؤدياً [١١/أ] مبلغاً، ولفظ القارئ في غير القرآن مخلوق، وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه؛ ولهذا منع السلف عن قول لفظي بالقرآن مخلوق؛ لأنه لا يتميز كما منعوا عن قول لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق، وفي التلاوة مسكوت عنه كي لا يؤدي إلى الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن، وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه، والله الموفق، والمعين[١].

فصل

العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلا حصر، ولا كيفية وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه صار لقلبه قبلة في صلاته، وتوجهه ودعائه، ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه، فإنه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده لكن ربما عرفه بسمعه، وبصره، وقدمه، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الأشياء، فإذا دخل في الصلاة، وكبر توجه قلبه إلى جهة العرش منزهاً ربه تعالى عن الحصر مفرداً له كما أفرده في قدمه، وأزليته عالماً أن هذه الجهات من حدودنا، ولوازمنا، ولا يمكننا الإشارة إلى ربنا في قدمه وأزليته إلا بها لأنا محدثون، والمحدث لا بد له في إشارته إلى جهة؛ فتقع تلك الإشارة إلى ربه كما يليق بعظمته لا

---

[١] لا يوجد في المطبوع ((المعين)).

كما يتوهمه هو من نفسه، ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه [١١/ب] هو معهم بعلمه، وسمعه، وبصره، وإحاطته، وقدرته، ومشيئته، وذاته فوق الأشياء فوق العرش، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرق قلبه، واستنار، وأضاء بأنوار المعرفة، والإيمان، وعكست أشعة العظمة على عقله، وروحه، ونفسه، فانشرح لذلك صدره، وقوي إيمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر، والحلول، وذاق حينئذ شيئاً من أذواق السابقين المقربين بخلاف من لا يعرف، وجهة معبوده، فتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: في السماء. عرفته، بأنه على السماء، فإن ـــ في ـــ تأتي بمعنى على كقوله تعالى: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: من الآية٢٦)، أي: على الأرض، وقوله: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طـه: من الآية٧١)، أي: على جذوع النخل، فمن تكون الراعية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده، فإنه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنوار المعرفة، والإيمان، ومن أنكر هذا القول؛ فليؤمن به، وليجرب، ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه أعمى من وجه كما سبق مبصراً من جهة الإثبات، والوجود، والتحقيق. أعمى من جهة التحديد، والحصر والتكييف، فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، ووجد نوره، وبركته عاجلاً وآجلاً ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر: من الآية١٤)، والله الموفق والمعين.

فصل

في تقريب مسألة الفوقية من الافهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه. لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة [١٢/أ]، وحكمها صحيح؛ لأنه ببرهان لا يكابر الحس فيه بأن الأرض في جوف العالم العلوي، وأن كرة الأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة، والسماء محيطة بها من جميع جوانبها، وأن سفل العالم هو

جوف كرة الأرض، وهو المركز، ونحن نقول: جوف الأرض السابعة، وهم لا يذكرون السابعة؛ لأن الله تعالى أخبرنا عن ذلك، وهم لا يعرفون ذلك، وهذه القاعدة عندهم هي ضرورية لا يكابر الحس فيها أن المركز هو جوف كرة الأرض، وهو منتهى السفل، والتحت، وما دونه لا يسمى تحتاً بل لا يكون تحتاً، ويكون فوقاً بحيث لو فرضنا خرق المركز، وهو سفل العالم إلى تلك الجهة الأخرى[1] لكان الخرق إلى جهة فوق، ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الأخرى لصعد إلى جهة فوق.

وبرهان ذلك أنا لو فرضنا مسافراً سافر على كرة الأرض من جهة المشرق إلى جهة المغرب، وامتد مسافرًا يمشي[2] على الكرة إلى حيث ابتدأ بالسير، وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه، وهو في سفره هذا لم تبرح الأرض تحته، والسماء فوقه؛ فالسماء التي يشهدها الحس تحت الأرض هي فوق الأرض لا تحتها؛ لأن السماء فوق الأرض بالذات، فكيف كانت السماء كانت فوق الأرض من أي جهة فرضتها، ومن أراد معرفة ذلك؛ فليعلم أن كرة الأرض النصف الأعلى منها ثقله على المركز، والنصف الأسفل منها ثقله على النصف الأعلى أيضاً إلى [١٢/ب] جهة المركز، والنصف الأسفل هو أيضاً فوق النصف الأعلى كما أن النصف الأعلى فوق النصف الأسفل، ولفظ الأسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل للناظر، وكذلك كرة الماء محيطة بكرة الأرض إلا سدسها، والعمران على ذلك السدس، والماء فوق الأرض كيف كان، وإن كنا نرى الأرض مُدْحية على الماء، فإن الماء فوقها، وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء، وهي فوقها، وإذا كان الأمر كذلك؛ فالسماء التي تحت النصف الأسفل من كرة الأرض هي

---

(١) لا يوجد في المطبوع ((الأخرى)).

(٢) في المطبوع ((المشي)).

فوقه لا تحته؛ لأن السماء على الأرض كيف كانت؛ فعلوها على الأرض بالذات فقط لا تكون تحت الأرض بوجه من الوجوه، وإذا كان هذا جسم، وهو السماء علوها على الأرض بالذات؛ فكيف من ليس كمثله شيء، وعلوه على كل شيء بالذات كما قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى:١)، وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: من الآية٥٠)، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر: من الآية١٠)، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: من الآية١٨)؛ لأن فوقيته سبحانه، وعلوه على كل شيء ذاتي له فهو العلي بالذات، والعلو صفته اللائقة به كما أن السفول والرسوب، والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته، وعظمته، وعلوه، والعلو، والسفول حد بين الخالق، والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه عليٌّ بالذات، وهو كما كان قبل خلق الأكوان، وما سواه مستقل عنه بالذات، وهو سبحانه العليّ على عرشه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج الأمر إليه، فيحيي هذا، ويميت هذا، ويمرض هذا، ويشفي هذا، ويعز هذا [١٣/أ]، ويذل هذا، وهو الحي القيوم القائم بنفسه، وكل شيء قائم به.

فرحم الله عبداً وصلت هذه إليه هذه الرسالة، و لم يعالجها بالإنكار، وافتقر إلى ربه في كشف الحق أناء الليل والنهار، وتأمل النصوص في الصفات، وفكر بعقله في نزولها ، وفي المعنى الذي نزلت له ، وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات، ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد إلا معرفة الرب تعالى بها، والتوجه إليه منها، وإثباتها له بحقائقها، وأعيانها كما يليق بجلاله، وعظمته بلا تأويل، ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا جمود، ولا وقوف، وفي ذلك بلاغ لمن اعتبر[1]، وكفاية لمن استبصر إن شاء الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وأصحابه، وذريته وأهل بيته، وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) في المطبوع ((تدبر)).

المحتويات

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة

ت : ٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٥٩٣٨٤١١ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧

ص.ب ٢١ توزيع الظاهر ـ القاهرة

E-mail : alsakafa-alDinaya@hotmail.com